

عنوان المداخلة: إسهامات مصطفى صبري في تجديد علم الكلام.

طالبة دكتوراه: سليمانى جهيدة

الأستاذ المشرف : د. عبد المالك بن عباس

تمهيد

نحاول في هذه الورقة البحثية الحديث عن إسهامات مصطفى صبري في تجديد علم الكلام، والدور الفعال الذي قام به خاصة في الجانب العقدي و بما أن موضوع التجديد في علم الكلام من أكثر المواضيع اثارة على الساحة الفكرية اليوم ارتأينا أن نساهم بهذه الورقة البحثية المتواضعة عسى أن نفيد و نستفيد.

و قد قسمنا عناصر هذه الورقة البحثية كالآتي :

-المبحث الأول: السيرة الذاتية و العلمية لمصطفى صبري.

-المطلب الأول: السيرة الذاتية.

-المطلب الثاني: النشاط العلمي و السياسي لمصطفى صبري.

المطلب الثالث: الانتاج الفكري.

- المبحث الثاني: دور و اسهام مصطفى صبري في تجديد علم الكلام.

- المطلب الأول: الجانب الالهى.

- المطلب الثاني: قضية انكار النبوة.

- المطلب الثالث: قضية القضاء و القدر.

- المطلب الرابع: مسألة ترجمة القرآن الكريم.

المبحث الأول: السيرة الذاتية و العلمية لمصطفى صبري :

المطلب الاول : السيرة الذاتية

الفرع الأول: المولد

ولد مصطفى صبري التوقادي ابن أحمد بن محمد القازابادي¹ في مدينة توقاد بالأناضول² في 12 ربيع الأول 1286هـ ، الموافق ل 21 حزيران (يونيو) من عام 1869³، وهو تركي الأصل و المولد و النشأة⁴.

الفرع الثاني: النشأة:

نشأ مصطفى صبري في بيت علم و فضل، كان والده أحمد بن محمد القازابادي رجل دين و فاضل، و كان أكبر أمانيه أن يصير ابنه عالما من علماء الدين، يقول مصطفى صبري (كان أعظم أمانيك في أمري، رحمة الله عليك و على والدتي، التي لم تكن تساهمك فقط، بل تسابقك فيما يرحى فيه رضى الله تعالىوكان أعظم أمانيك أن أجتهد في طلب العلم، و أصبح عالما من علماء الدين، وكنت في رغبتك هذه أشد شرها من المذهومين⁵.

تذكر نزاht هانم ابنة مصطفى صبري⁶ أن والدها حفظ القرآن الكريم في سن العاشرة، و تميز بالذكاء و الفطنة منذ الصبي، ما جعل أساتذته في توقاد يطلبوا من والده أن يرسله إلى

¹ مصطفى صبري التوقادي: موقف العقل و العلم من رب العالمين و عبادي المرسلين، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1401، 2هـ -1981م، ج1، ص 71.

² خير الدين الزركلي : الأعلام ، دار الملايين ، د، م، ن، ط2002، 15م، ج7، ص236.

³ مصطفى صبري التوقادي: موقف العقل و العلم و العالم من رب العالمين و عبادي المرسلين، ج4، ص 388.

⁴ خير الدين الزركلي: المرجع نفسه ج 7، ص 236.

⁵ حديث النبي صلا الله عليه و سلم منهومان لا يشبعان منهوم في العلم لا يشبع منه و منهوم في الدنيا لا يشبع منها رواه البيهقي في شعب الايمان ، باب: الزهد و قصر الأمل، حديث رقم (9798)، ج12، ص 7-49.

⁶ مصطفى صبري: موقف العقل و العلم و العالم من رب العالمين و عبادي المرسلين، ج1، ص 1 .

قيصرية حتى يكمل تعليمه على أيدي علمائها الكبار لما رأوا فيه من موهبة، و ما تميز به من عقل
نير¹.

لقد بدت على مصطفى صبري منذ صغره علامات النبوغ والذكاء الحاد، و شغف بتحصيل
العلوم المختلفة من (علوم القرآن و السنة المطهرة، و علم القراءات و علم العقيدة و التفسير
و الفقه و غيرها)،² و تعلم على يد كبار العلماء آنذاك.

أتم دراسته الابتدائية في مسقط رأسه، على يد كبار أهل الفضل و العلم أمثال الشيخ:
«أحمد أفندي زولبيه زادة،³ تم استأذن والده للذهاب الى قيصرية (وكانت مركزا للعلوم الدينية)⁴.

و لما أذن له والده سافر، و(تلقى دراسته العلوم العقلية و النقلية)⁵، و أخذ بنهل من مناهل
مناهل العلم، حيث أصل دراسته على يد الشيخ "محمد أمين الدوكيري".

ثم انتقل إلى الآستانة، حيث أتم دراسته المترتبة لعلوم الشريعة على يد الأستاذ العالم الفقيه
الشيخ: "أحمد عاصم الكوملجنوي"⁶ وكييل الدرس بالمشيخة الإسلامية آنذاك.⁷

¹ مفرح بن سلمان القوسي: مصطفى صبري المفكر الإسلامي و العالم العالمي و شيخ الإسلام في الدولة العثمانية سابقا ،
ص 403 ، ملحق رقم (2).

² مفرح بن سليمان القوسي: المرجع نفسه، ص 78.

³ مفرح بن سليمان القوسي : المرجع نفسه، ص 78 – 79.

⁴ سيد بن الحسين العفاني: زهر البساتين من مواقف العلماء و الربانيين، دار العفاني، القاهرة، د، ط، د، ج، 2، ص 225.

⁵ سيد بن الحسين العفاني : المرجع نفسه، ج، 2، ص 225.

ولد في قرية" ترزي ويدان" في لواء "كملنجة" سنة 1252هـ، تخرج في العلوم على يد العلامة: عبد الرحمان بن الحسين القرين
آبادي ، حضر دروس الحافظ محمد التميمي، و الحافظ محمد غالب و غيرها، و عين وكييل الدرس بالمشيخة الإسلامية بتركيا،
توفي في رجب سنة 1329 هـ -1911م، أنظر : زكي محمد مجاهد: الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية دار الغرب
⁶الإسلامي ، بيروت ، لبنان، ط1، 1949م-1963م، ط2، 1994م، ج1، ص 271.

⁷ مفرح بن سليمان القوسي: مصطفى صبري المفكر الإسلامي و العالم العالمي و شيخ الإسلام في الدولة العثمانية سابقا، ص
ص 78-79.

لقد شد مصطفى صبري انتباه مشايخه بجدّة ذكائه و بقوة حافظته، و عمق تحصيله¹، خاصة شيخه " أحمد عاصم الكوملجنوي" الذي زوجه ابنته - بعدما أجازته - من شدة إعجابه به².

المطلب الثاني : النشاط العلمي و السياسي لمصطفى صبري:

الفرع الأول: النشاط العلمي

عمله في حقل التدريس و التعليم:

عين في سن الثانية و العشرين مدرسا بجامع السلطان محمد الفاتح - وكان في عهد الدولة العثمانية كالأزهر بالقاهرة³.

و هذا المنصب منصب مرموق يحتاج إلى جد و اجتهاد و تحصيل طويل⁴، و استمر في التدريس بهذا الصرح العلمي الكبير سنوات طويلة، أجاز خلالها خمسين طالبا⁵ بعد ذلك (منح إمامة جامع "الأثرية" في بكطاش، مع التدريس به عام 1896، ثم عين مدرسا للتفسير في مدرسة الواعظين، كما انتخب من قبل مجلس المدرسين في كلية الإلهيات بجامعة الآستانة مدرسا للتفسير أيضا، ثم بعد ذلك نقل إلى التدريس مدرسة المتخصصين، حيث درس فيها صحيح الإمام مسلم⁶.

¹ سيد بن الحسين العفاني: مرجع سابق، ج2، ص225.

² مفرح بن سليمان القوسي: مصطفى صبري المفكر الإسلامي و العالم العالمي و شيخ الإسلام في الدولة العثمانية سابقا، ص80.

³ مصطفى صبري: الأسرار الخفية وراء الغاء الخلافة العثمانية تعليق: مصطفى حلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ-2004م، ص14.

⁴ سيد بن الحسين العفاني: مرجع سابق، ج2، ص226.

⁵ مفرح بن سليمان القوسي: مرجع سابق، ص82-83.

⁶ مفرح بن سليمان القوسي: مرجع نفسه، صص83-84.

كما اختارته هيئة كبار العلماء المعروفة بالجمعية العلمية رئيساً لصحيفتها الأسبوعية التي كانت تصدر بعنوان: "بيان الحق الذي عين بعدها عضواً في دار الحكمة" هيئة كبار العلماء، تولى بعدها تدريس الحديث الشريف في مدرسة السليمانية¹.

توليد أمانة مكتبة السلطان عبد الحميد:

في عام 1898م اختير ليكون عضواً من الأعضاء المخاطبين في دروس الحضور، و هي دروس علمية تلقى بحضرة السلطان في شهر رمضان من كل سنة².

و قد لفت انتباه السلطان عبد الحميد إليه بسعة إطلاعه و تميزه و هو في سن شابة بين رجال العلم الدينيين أميناً لمكتبته³ التي تزخر بأهميات كتب التراث⁴ و المخطوطات، ثم انضم إلى سلك كتاب السلطان، و تولى العمل مديراً للقلم الخاص للسلطان عبد الحميد، و نال وسامين علميين عثمانيين مجديين، و ميدالية اللياقة الذهبية خلال هذه الفترة، كما اختير عضواً في لجنة تدقيق المؤلفات الشرعية⁵.

-توليه مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية:

ترقى الشيخ مصطفى صبري إلى أعلى المناصب العلمية الدينية في الدولة العثمانية ،

¹ عمار جيدل : رائد الفكر الإسلامي الحديث : شيخ الإسلام مصطفى صبري على الموقع: www.asein.net

بتاريخ: 17-04-2015م، على الساعة: 15-54.

² مفرح بن سليمان القوسي : المرجع السابق ص 84.

³ سيد بن حسين العفاني : المرجع السابق ج2، ص 226.

⁴ محمد علي شاهين : مصطفى صبري بن أحمد بن محمد التوقادي ، مجلة الغراء الالكترونية ، لبنان، 1 تشرين الثاني 2015م،

2015م، عدد 131، على الموقع: www.alghoraba.com بتاريخ 2015/11/01م، على الساعة

15:49.

⁵ مجلة الهداية الاسلامية : عدد محرم 1351هـ، م4، ج8، ص 334، نقلاً عن : مفرح بن سليمان القوسي المرجع السابق

ص 86.

ألا و هو منصب "شيخ الإسلام"¹ و هذا يدل على مستواه العلمي الرفيع، حيث تولى هذا المنصب أربع مرات متتالية وان كانت لفترات قصيرة، بلغت في مجموعتها ثمانية أشهر وواحد وعشرين يوماً².

لقد ساهم الشيخ مصطفى صبري من خلال منصبه هذا شيخ الإسلام بدور علمي و ديني وكذلك كان له دور سياسي، حيث مكن له هذا المنصب من الإحاطة بالملابسات السياسية التي تحيط بالخلافة الإسلامية، فبدأ بالكشف عن خطط القوى و المنظمات المعادية للإسلام ، و ساهم في توجيه سياسة الدولة و المناداة بتحكيم شرع الله .³

الفرع الثاني : النشاط السياسي :

اهتم مصطفى صبري كثيرا بالسياسة ، حيث رأى فيها بابا مفتوحا للدفاع عن الإسلام ضد ما روجت له أقلام العلمانية من الاتحاديين⁴ و الكماليين⁵ (ولم يكن للسياسة عنده إلا معنى واحد، و هو جعل الشريعة الإسلامية أساسا لادارة الدولة⁶ . فكافح عن طريق أعماله السياسية في الدولة العثمانية سياسة الظلم و الهدم و المروق ، و كابد في سبيل هذا أشد المعاناة و الشدائد.

¹ هو أعلى منصب في الدولة العثمانية ، و سمي أيضا رئيس العلماء ، كذلك معلم السلطان، تم تعيينه مباشرة من قبل السلطان لذلك فان شيوخ الإسلام أكثر تقديرا و احتراما من غيرهم في الدولة العلية ، و كان الشخصية الثالثة في الدولة من حيث الأهمية ، أنظر : أكرم كيدو : مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية ، ترجمة : هاشم الأيوبي ، طرابلس، لبنان، ط1 1413 هـ -1992م، ص5-41.

² مفرح بن سليمان القوسي : المرجع السابق ، ص ص 92-93.

³ أمل خيري: مصطفى صبري شيخ الإسلام في الدولة العثمانية ، على الموقع : www.arablogs.com / بتاريخ : 17-04-2015م على الساعة: 15:50.

⁴ هم أعضاء جمعية الاتحاد و الترقى .

⁵ هم كمال أتاتورك و أعوانه .

⁶ محمد حرب العثمانيون في التاريخ و الحضارة المركزي المصري للدراسات العثمانية و بحوث العالم التركية القاهرة ، 1414 هـ -1994، د، ط، ص203.

(و قد بدأ مصطفى صبري نشاطه السياسي بعد إعلان الدستور الثاني سنة 1908، اذ انتخب وقتذاك نائبا عن بلده "توقاد" في الأناضول ، فبرز اسمه و قتناك لمقدرته الخطابية¹).

فمثل منطقتة توقاد في مجلس المبعوثان العثماني للجهر بآرائه في المجلس النيابي²، حيث كانت البلاد في ذلك الوقت تدار بأيدي رجال جمعية الاتحاد و الترقى، و كانت تسير في طريقها الى الهاوية ، وكانت الدولة العثمانية التي ظلت ستة قرون تمثل الاسلام وتدافع عنه آخذة في التداعي و السقوط³.

ثم تشارك مصطفى صبري في العديد من الأعمال السياسية، فشارك في تأسيس حزب الحرية و الإئتلاف، و هو حزب مناويء لمنهج حزب الإئتلاف و الترقى، حيث احتل موقعا بارزا في هذا الحزب، و كان لسان الحزب الناطق، ثم عينه السلطان محمد وحيد الدين عضوا مدى الحياة في مجلس الأعيان العثماني، حيث كانت تفتح جلسات هذا المجلس و تحتتم بتلاوة آيات من القرآن الكريم بناء على اقتراح من الشيخ مصطفى صبري، بعد ذلك عينه الداماد فريد باشا منصب الصدراة العظمى⁴ بالنيابة حيث سافر فريد باشا الى أوروبا لحضور مؤتمر الصلح المنعقد في باريس في 1919⁵.

خلال تقلد مصطفى صبري لهذه المناصب السياسية، و عمله المستمر في حقل السياسة ركز جهده السياسي بشكل أكبر في مقاومته للاتحاديين و الكماليين، وما عاثوه في الدولة العثمانية خاصة، و في العالم الاسلامي عامة من الفساد بمختلف ألوانه و أشكاله، و استطاع فضح مخططاتهم و سياساتهم الماكرة.

¹ محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، دار الرسالة ، المملكة العربية السعودية ، ط9،

1992م، ج2، ص.334

² محمد حرب : المرجع السابق، ص 202.

³ مفرح بن سليمان القوسي: المرجع السابق، ص 98.

⁴ رئاسة مجلس الوزراء.

⁵ مفرح بن سليمان القوسي: المرجع السابق، ص 100-107.

و قد انتقد مصطفى صبري استبداد الاتحاديين في حكمهم للبلاد، و نادي بمبدأ الشورى الإسلامي، كما تصدى للحملات التي شنها الاتحاديون ضد الدين، كما تصدى أيضا للكماييين فكشف عن فساد دينهم، و نبه المسلمين على خطرهم على الإسلام، حتى لا يظنوا بهم خيرا، بعدما كان العالم الإسلامي مفتونا بمصطفى كمال أتاترك ، حيث ظنوا فيه خيرا، و اعتبروه البطل المنقذ للغير على الإسلام و على الأمة الإسلامية¹ .

كما بين العالم الإسلامي أيضا العداء الشديد الذي في كنهه الاتحاديون و الكماييون للدين عموما، و لدين الإسلام بصفة أخص، حيث اتخذوا هدم عقيدة الدين و نشر الإلحاد مبدأ من مبادئهم.

إن تصدي مصطفى صبري لهذه الأفكار الهدامة، و لأصحاب تلك الأفكار الذين رأوا في الإسلام عقبة كؤودا ضد التطور و ضد حركة التغريب الشاملة للدولة العثمانية ، جعل أنصار التغريب يكيّدون له العداء السافر، لأن فكره و نضاله السياسي لم يكن قد شوهد بين المسلمين لسنوات طوال سبقتة² .

الفرع الثالث: وفاته:

مرض الشيخ مصطفى صبري في آخر حياته، و توفي في صباح يوم الجمعة 7 رجب 73 هـ الموافق ل: 12 مارس 1954م، بعد حياة حافلة بالنضال للدفاع عن قضايا الإسلام بالكتب، و بنشر المقالات في الصحف و المجلات الدينية و العلمية و السياسية³ .

المطلب الثالث: الإنتاج الفكري

تميز الإنتاج الفكري لمصطفى صبري بالتنوع ، فقد كتب في أصول الدين و في السياسة ، و في الفقه، و في غيرها من المجالات، و بما أنه عاش في فترة من أصعب الفترات التي مر بها العالم

¹ مفرح بن سليمان القوسي: المرجع السابق، ص ص 111-121.

² محمد حرب: المرجع السابق، 203.

³ مفرح بن سليمان القوسي: المرجع السابق، ملصق رقم(1) و (2)، ص ص 400-408.

الإسلامي، و هي سقوط الخلافة الإسلامية و إعلان علمانية الدولة، فقد جاء إنتاجه الفكري مواكبا لأحداث عصره.

تنقسم كتب ومؤلفات مصطفى صبري إلى: مؤلفات باللغة العربية، و مؤلفات باللغة التركية.

الفرع الأول: الكتب العربية

- كتاب النكير على منكري النعمة من الدين و الخلافة و الأمة : و هو كتاب في الفكر السياسي و قد طبع في مصر بعنوان : الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، بتعليق: مصطفى حلمي.

- كتاب مسألة ترجمة القرآن: و الكتاب هو واضح يناول قضية ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية، و خطرهما على القرآن الكريم.

- كتاب موقف البشر تحت سلطان القدر: و كان سبب تأليفه ماداع بين الناس مسلمين و غير مسلمين من أن عقيدة الإيمان بالقضاء و القدر هي سر تأخر المسلمين .

- كتاب قوليف في المرأة و مقارنته بأقوال مقلدة الغرب: ناقش فيه مسألتين : تعدد الزوجات، و قضية السفور و الحجاب.

- كتاب القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب و الذين لا يؤمنون: تناول فيه مسألتين النبوة و المعجزة، و الرد على المنكرين لها من بعض المفكرين المسلمين الذين يعتبرون المعجزات الكونية من المستحيلات ، و يعتبرون تجرد النبي صلى الله عليه و سلم منها (أي من المعجزات) ميزة اختص بها على سائر الأنبياء¹ .

- كتاب موقف العقل و العلم و العالم من رب العالمين و عباده المرسلين: و هو كتاب ضخيم يجوز تسميته بموسوعة العصر، يقع في أربع مجلدات من الحجم الكبير كل مجلد يبلغ عدد صفحاته الخمسمائة صفحة، ضم جميع آراء مصطفى صبري الفقهية و الفلسفية و العقديّة

¹ مصطفى صبري: موقف العقل و العلم و العالم من رب العالمين و عباده المرسلين ج4، ص5.

و السياسية و الاجتماعية ، وهو أهم كتبه على الإطلاق و آخر مؤلفاته ، ألفه بعدما توقف عن الجهاد السياسي، و تفرغ للجهاد العلمي، و ضم الكتاب بين دفتيه كل ما يحتاجه الإنسان المسلم المتعلم الحريص على عقيدته و المنافع عنها أمام الفكر الغربي الجارف.

قسمه إلى 4 أبواب:

الباب الأول: في إثبات وجود الله سبحانه و تعالى.

الباب الثاني: في موقف العالم من الله.

الباب الثالث: في موقف العقل و العلم من رسل الله.

الباب الرابع: عدم جواز فصل الدين عن السياسة في الإسلام.

و لمصطفى صبري أيضا كتابان باللغة العربية لكنهما مخطوطتان لم تحققا بعد و هما: مختارات

من الشعر العربي: وهو كتاب في الأدب العربي.

حاشية على كتاب: "نتائج الأفكار" : و هو كتاب في النحو العربي، كتبه تعليقا و تحقيقا

لكتاب " نتائج الأفكار " ل : مصطفى حمزة الأطهلي.

الفرع الثاني : الكتب التركية

- كتاب المسائل التي هي هدف من المناقشة في الإسلام:

- كتاب ردي على ما في القول الجيد من الردى: و هو كتاب في البلاغة و الأدب العربي.

كتاب القيمة العلمية للمجتهدين المسلمين العصريين.

كتاب مجددو الدين.

كتاب الامامة الكبرى في الاسلام.

كتاب صوم رمضان.

كتاب رسالة في الايمان و الصلاة و الصوم.

كتبه المخطوطة.

كتاب صيد الخاطر.

كتاب حكم لبس القبعة و البرنيطة.

أما فيما يخص الأبحاث و المقالات فله الشيء الكثير.

المبحث الثاني: دور مصطفى صبري في تجديد علم الكلام

المطلب الأول: الجانب الإلهي

الفرع الأول: عرض شبهات الملاحدة وحججهم

لقد كثر الملاحدة الجاحدين لوجود الله تعالى زمن مصطفى صبري، حيث أنكروا جميع الغيبات لتمسكهم بالفلسفة الوضعية، و تطبيقه للمنهج الحسي التجريبي، و كان في مقدمة تلك الغيبات وجود الله تعالى، فأنكروا أن يكون هناك اله عليم خالق متصف بالحكمة¹.

لقد تتبع مصطفى صبري ما احتج به الملحدون على نفي وجود الصانع تعالى، و أرجع تلك الحجج الى ثلاث حجج كبرى، و هي:

1- أنهم بحثوا عن الفاعل الموجد للعالم الذي يسميه المؤمنون "الله" فلم يجدوه، و لم يروه بأي آلة راقية ترى ما لا تراه العيون من القريب و البعيد².

2- حجة إنكار العلم المادي لوجود الإله الخالق، و بما أن وجود الله ليس ماديا فحكموا بنفي وجوده³

3- احتج الملاحدة بنظرية النشوء و الارتقاء -نظرية داروين - و زعموا أنها حجة لنفي وجود الإله⁴.

4- الكون بما فيه فعل محض للطبيعة، فهي أي الطبيعة- علته الموجدة و الهه الخالق⁵.

بعد أن عدد مصطفى صبري شبهات و حجج الملاحدة في انكارهم لوجود الله تعالى بدأ بمواجهة تلك الشبهات، و قد اتبع في ذلك المنهج الآتي:

-استدل على وجود الله عزوجل.

¹ مفرح بن سليمان القوسي: الشيخ مصطفى صبري و موقفه من الفكر الوافد، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية، الرياض، ط1، 1997م، ص 324.

² مصطفى صبري: موقف العقل و العلم و العالم من رب العالمين و عباده المرسلين، ج2، ص 73.

³ المصدر نفسه، ج2، ص 275.

⁴ المصدر نفسه، ج2، ص 283.

⁵ المصدر نفسه، ج2، ص 308.

-ناقش أساس مذهب الالحاد.

-فند حجج الملاحدة و أبطل شبهاتهم.

-و تفصيل ذلك كالآتي :

I. استدلال مصطفى صبري على وجود الله تعالى:

و اتبع في هذا ثلاث مناهج و سلك ثلاث مسالك و هي:

أ-**المنهج القرآني**: وذلك بذكر آيات الله تعالى المنبثة أمام العقل الانساني من الخلق و الابداع و العناية و الاتقان ، لقد اتبع مصطفى صبري هذا المنهج الذي سماه تارة ب(دليل العلة الغائية) اتباعا للفلاسفة في ذلك ، و تارة ب (دليل الحكمة و دليل نظام العالم) اتباعا للمتكلمين¹.

يقول مصطفى صبري: (و لقد اعتنى القرآن الكريم [بهذا الدليل] أكثر من غيره حتى أمكننا تسميته "بدليل القرآن" ، لأن كثيرا من آياته -و لا نحصيها- هنا لكثرتها، و هو أثرى الأدلة و أوسعها و أكثرها استعدادا لنصرة المستدل و خذلان المنكر و أوفقها لأمزجة العصريين)².

ب- **منهج الفلاسفة و المتكلمين**: اتبع مصطفى صبري في ذلك مسلكي الحدوث و الإمكان، و سلك في تقرير الأول مسلكا وسطا بين الأسلوب الكلامي القديم و الأسلوب الغربي الحديث³ فقال: (انا نرى في العالم حادثات و تقلبات حتى ان وجودنا نحن من جملة تلك الحادثات ... و لا بد لكل حادث من علة ، و هذه العلة اما أن تكون حادثة كالمعلول أو قديمة واجبة ، فعلى الشق الثاني يثبت المطلوب أعني وجود الواجب الذي يكفى به عن الله ، و على الشق الأول يلزم أن تكون هذه العلة القريبة المتصلة بالمعلول مستندة الى علة أخرى بعيدة هي علة العلة، فان كانت هذه البعيدة قديمة واجبة ثبت المطلوب في المرحلة الثانية ، و ان كانت ممكنة احتاجت الى علة أخرى أبعد من الثانية التي هي علة العلة ، و هكذا دواليك الى أن تتسلل علل الحادثات الحادثة

¹ مفرح بن سليمان القوسي: الشيخ مصطفى صبري و موقفه الفكر الوافد، ص 329.

² مصطفى صبري: موقف العقل و العلم من رب العالمين و عباده المرسلين ج2، ص 343.

³ مفرح بن سليمان القوسي: الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص 332.

الى غير نهاية فيلزم التسلسل المحال أو ينقطع التسلسل في علة تكون قديمة واجبة و يثبت المطلوب¹.

منهج خاص به: اتبع مصطفى صبري إضافة إلى ما سبق منهاجا خاصا به، حيث ابتكر أدلة عقلية لتقرير وجود الله، و للرد على منكري وجاحدي وجوده تعالى² :

الدليل الأول: أنه استدل من وجود الكائنات المحسوسة في الخارج و من حصول صورتها في الذهن على وجود الله تعالى، فهو يرى أن لتلك المحسوسات دلالتين على وجود الله تعالى.

- دلالتها على وجوده بأعيانها الموجودة في الخارج.

- دلالتها على وجوده بصورها الذهنية الحاصلة عند الإحساس بها مع عدم السبيل إلى حصول تلك الصور لولا وجود الله الذي صورها³.

الدليل الثاني: أنه استدل من الإدراك أو الشعور الذي يجده كل إنسان في نفسه على وجود الله تعالى ، ذلك أن هذا الشعور أو الإدراك لا يحصل للإنسان من تلقاء نفسه، لأن الإنسان يدرك لكنه لا يعلم كيفية ذلك الإدراك في نفسه⁴.

الدليل الثالث: استدل من وجود الإرادة في الإنسان على وجود الله ، ذلك أن صفة الإرادة التي يمتاز بها الإنسان حتى على الملائكة أجلى الأدلة على وجود الله الذي منح عبده تلك الصفة، إذ الإرادة لا تحصل للإنسان إلا من ذي إرادة⁵.

.II مناقشة أساس مذهب الإلحاد:

لقد ناقش مصطفى صبري شبهات الملاحدة مناقشات طويلة هدم فيها الأساس الذي أقام

¹ مصطفى صبري: موقف العقل و العلم و العالم من رب العالمين و عباده المرسلين ، ج2، ص ص 170-174.

² مفرح بن سليمان القوسي: الشيخ مصطفى صبري و موقفه من الفكر الوافد ص 334.

³ المرجع نفسه ص 335 ، و أنظر تفصيل الدليل في موقف العقل و العلم و العالم من رب العالمين و عباده المرسلين ج2، ص 86.

⁴ المرجع نفسه ، ص 336 و أنظر تفصيل هذا الدليل عند مصطفى صبري في موقف العقل ج2، ص ص 61-62.

⁵ المرجع نفسه ص 337، و أنظر تفصيل الدليل عند مصطفى صبري في موقف العقل، ج3، ص 63.

عليه الملاحظة و الطبيعيون إلحادهم¹ و يمكن تحديد ذلك فيما يلي:

-نفي حصر العلم في العلم المادي الحديث و تسميته بالعلم المثبت: فبين أن

تسميته العلم في عرف الغريبين تطلق على العلوم المستندة إلى التجربة الحديثة، و قد استرسل مصطفى صبري في نقده لفكرة اقتصار العلم على العلم المادي التجريبي.²

-إثبات تفوق الدليل العقلي على الدليل الحسي التجريبي: لقد عين مصطفى صبري

كثيرا على طول مناقشته للملاحظة بالموازنة بين الدليل العقلي المنطقي و الدليل الحسي التجريبي ، وركز بكل قوة على إثبات تفوق الأول على الثاني، و على إيضاح أن المطالب الثابتة بالأول أعلى درجة و أعلى قيمة من المطالب الثابتة بالثاني.³

-إثبات تحالف العقل مع الدين: أوضح مصطفى صبري في هذا المقام أن الملاحظة

أصحاب العلم الحديث أنكروا في أول الأمر أن يوجد لأساس الدين سند من العقل، و قد أبطل مصطفى صبري ادعاءهم هذا، و أثبت أن العقل حليف الدين الوفي و أول نصير له⁴ .

III. تفسيره حجج الملاحظة و إبطال شبهاتهم:

بعد ان استدل مصطفى صبري على وجود الله بختلف الأدلة و البراهين العقلية و النقلية ، و بعد أن عرض لشبهات الملحدين و حججهم التي اعتمدوا عليها وكانت أساسا لهم لنفي وجود الصانع ، و بعد أن ناقش أساس مذهبهم ،أخذ بالرد على حججهم و شبهاتهم ، وأورد ردودا قوية و براهين متينة نسف بها أساس مذهب الإلحاد من أساسه ، و تلك الردود يعج بها كتابه الضخم موقف العقل و العلم و العالم من رب العالمين و عباده المرسلين ، لا يتسع المقام لذكرها.

¹ مفرح بن سليمان القوسي : الشيخ مصطفى صبري و موقفه من الفكر الوافد ص 338.

² أنظر تفصيل هذا في موقف العقل....ج2 ، الصفحات 453/312/304/107...الخ.

³ مفرح بن سليمان القوسي: المرجع نفسه ، ص 343-344، أنظر تفصيل هذا في موقف العقلج2، ص ص 306-330-333.

⁴ مفرح بن سليمان القوسي: المرجع نفسه ، ص 348، أنظر تفصيل هذا في موقف العقلج2، ص ص 67-68-69-73-90.

المطلب الثاني: قضية إنكار النبوة:

يقول مفرح القوسي: (اهتم مصطفى صبري بمسألة النبوة كثيرا إلى حد أنه رأى إثبات وجود أنبياء الله أحد الواجبين الرئيسيين اللذين أخذ على عاتقه القيام بهما في كتابه الكبير " موقف العقل" كما عد النبوة من المسائل الاعتقادية الرئيسية للمؤمن الذي هو في حاجة ماسة إلى تخليصها من شر دعاة الالحاد الذين هم أشد المبشرين في هذا الزمان خطرا على الإسلام لكونهم يفعلون ما يفعلون باسم العلم و التقدم العلمي).¹

و يمكن حصر موقف مصطفى صبري من إنكار النبوة في النقاط التالية:

1 إثبات وجود الأنبياء: و أقام على ذلك ثلاثة أدلة و هي:

أ - أنه استدل من ثبوت وجود الله ، و من كونه خالق الإنسان و المتصرف في أموره على ضرورة وجود الأنبياء² ، حيث قال (إذا كان الله موجودا وهو خالقنا وخالق كل شيء كان أول واجب الإنسان التفكير في أن خالقه لا يتركه سدا، لا سيما و قد خلقه ممتازا على سائل خلقه بالعقل و الإرادة فيلائم عقله الذي به وجد ربه و استدل على وجوده كل الملائمة أن تكون عليه واجبات اتجاه من خلقه ، لكن العقل لا يستطيع تعيينه بالضبط و التفصيل، لا عقل أحد يفكر و لا عقول العلماء و الحكماء الذين تختلف آرائهم ومذاهبهم في تعيين الحق و الباطل و الخير و الشر، فلا يدري أيها يوافق مرضاة الله من تلك الآراء و المذاهب المختلفة...ولو استقر القرار على أن يعمل كل إنسان بما يؤدي إليه فكره و اجتهاده لأدى إلى فوضى ، ففي وسط هذه الحيرة و التردد يحس الإنسان من صميم قلبه بالحاجة إلى رسول من عند ربه يسدد خطاه و يبلغه أوامره ونواهيته.)

¹ مفرح بن سليمان القوسي: المرجع السابق ص 386.

² المرجع نفسه ص 388.

ب - أنه استنبط من لزوم النشأة الثانية ومجيء يوم الدين دليلا على وجوب وجود رسل الله:
1 (فلكن كان الناس مسؤولين في النشأة الثانية عن أعمالهم في الدنيا كما هو المجزوم

عندنا... فوجود رسل الله الذين يوثق برسالاتهم ووجود المعجزات المعرفة لأشخاصهم يكون مقتضى العدل الالهي ، قَالَ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِكَلَّاءٍ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء: ١٦٥

فإذا كان الله موجودا و جعل للإنسان حياة أخرى يحاسبه فيها على أعماله في الحياة الأولى كان إرسال الرسل اليهم كالضروري إن لم يكن ضروريا لهم ضرورة وجود الله لوجود العالم).
ج- استدل مصطفى صبري على وجود الأنبياء بوجود المعجزات الظاهرة و الخارقة لسنة الكون التي أجراها الله تعالى على أيديهم.²

2- إيضاح موقف الفلاسفة الغربيين من النبوة:

يقول القوسي(لقد اعتنى مصطفى صبري - عند معالجته لهذه القضية بالكشف عن حال فلاسفة الغرب الالهيين و ايضاح موقفهم من النبوة ، فأكد أنهم لم يقصدوا للنظر في مسألة "النبوة" و لم يروها مطلبا من المطالب الفلسفية كما رأوا مسألة الألوهية، وكذا مسألة البعث بعد الموت، و لم يتكلموا في وجود النبي و عدم وجوده كلمة في حين أنهم تكلموا و أفاضوا في وجود الله و تكلموا أيضا في النشأة الآخرة).³

و قد أرجع مصطفى صبري سبب إهمالهم لمبحث النبوة و عدم اعترافهم بوجود رسل الله إلى مسيحتيتهم المحرفة التي هي دينهم الرسمي، حيث أن النبوة في هذا الدين قد أخرجت من ماهيتها الأصلية و ألبست بالألوهية.⁴

¹ المرجع نفسه ص 389.

² القوسي : المرجع السابق ص 390.

³ المرجع نفسه ص 391.

⁴ مصطفى صبري موقف العقلج2، ص 19.

3 - الرد على أصحاب المدرسة العقلية الحديثة في قضية النبوة والمعجزات:

(من الواضح أن مصطفى صبري لم يشغل نفسه بمناقشة منكري النبوة من الملاحدة الماديين أصحاب العلم المادي ... و لكن بشكل خاص على مناقشة أصحاب المدرسة العقلية الحديثة المغرمين بذلك العلم، و على تتبع أقوالهم في مسألة النبوة، لا سيما نبوته - صلى الله عليه و سلم - ثم تنفيذها، و تحليل عقلياتهم و الكشف عن مقاصدهم و خباياهم، و قد شدد في القول عليهم مع صرف نظره عن مكانتهم الاجتماعية ومراكزهم الوظيفية لأن هدفه الأساس و مقصده الأسمى من ذلك كله هو خدمة الحقيقة و الذوذ عن عقائد الاسلام من غير مسايرة العادات و التيارات أو مراقبة المراكز كما نبه على ذلك فأكثر من موضع)¹ .

المطلب الثالث : قضية القضاء و القدر :

تناول مصطفى صبري في هذه القضية مسألتان مهمتان :

الأولى: تحوله في مسألة أفعال العباد ، و قضية القضاء و القدر عموما من المذهب الماتريدي الذي هو مذهبه العقدي ، إلى مذهب الإمام الأشعري في هذه القضية حيث رآه صائبا في قضية الكسب الأشعري، و يقول في ذلك (و إن خير المذاهب في مسألة القضاء و القدر ما ذهب إليه إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري ... لكون قوله أوفق لعقيدة الايمان بالقدر)². و هذا إن ذل على شيء فهو يدل على بحث مصطفى صبري عن الحق أينما كان، وعدم تعصبه لمذهبه كما هو عند العلماء الآخرين هذا من جهة، و من جهة أخرى يدل على تنحره في علم الكلام و تعمقه الكبير فيه فلا يخفى على ذي لب صعوبة دراسة و استيعاب قضية أفعال العباد، فما فيها من الغموض و التشابك و تضارب الأقوال و الآراء ما حير العلماء ، فمصطفى

¹ القوسي : المرجع السابق ، ص ص 393-394.

أنظر تفصيل قضية انكار النبوة في القول الفصل : ص 8-11-12-148-149-41-135-136-17-18... الخ، و موقف العقل : ج 1، ص ص 29-30-25-315- و القول الفصل ص ص 143-145-147-15-

² مصطفى صبري : موقف البشر تحت سلطان القدر، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ط 1، 1352هـ، ص 6.

صبري في كتابه " موقف البشر تحت سلطان القدر " ضرب خير مثال على تعمقه في هذه القضية و تخيره كسب الأشعري على رأي الماتريدي في المسألة بالرغم من أنه على مذهبه.

الثانية: (أنه طلع بعد مجيئه إلى مصر و استقراره فيها على رسالة من ثلاثة أجزاء إدعى كاتبها أنه وضع علما جديدا و أسمى رسالته : "علم القضاء و القدر أو سر تأخر المسلمين" و نسب جميع أهل المذاهب في مسألة أفعال العباد و جميع العلماء القائلين بالقدر من خلفهم و سلفهم إلى الضلال إلى الكفر ، و استشهد بقول مؤلف فرنساوي: " إن الديانة المحمدية جذام فشا بين الناس و أخذ يفتك بهم فتكا ذريعا بل هي مرض [مروع] و شلل عام و جنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول و الكسل ¹ فهذا المؤلف يرى قوة الأمم الغربية غير المسلمة فيجلهم، و يرى ضعف المسلمين فيزدرهم و يستهين بعلمائهم و أئمتهم و يجهلهم، بل يجهل الله عزوجل ، و يسند تأخر الأمم الاسلامية إلى إيمانهم بالقدر ².

لذلك نجد أن مصطفى صبري استشعر طروء الوهن على عقيدة الايمان بالقدر، و علم أن سوء الظن بتلك العقيدة الاسلامية قد أتانا من الغرب، و لذلك قرر مصطفى صبري بحث مسألة أفعال العباد لتأييد عقيدة الايمان بالقضاء و القدر و الدفاع عنها ضد اعتداءات المعتدين ³.

فقد كرس كتابه : "موقف البشر تحت سلطان القدر" كاملا لبيان المسألة و للرد على من زعم أن الإيمان بالقدر هو سر تأخر المسلمين، و الكتاب من أوله الى آخر ردود على تلك المزاعم.

المطلب الرابع : مسألة ترجمة القرآن الكريم:

في عصر مصطفى صبري أثار أصحاب الانقلاب الكمالي اللاديني في تركيا فتنة ترمي إلى هجر القرآن العربي المنزل على نبي الرحمة و الهدى محمد صلى الله عليه و سلم و ذلك بترجمته الى اللغة التركية ، و إقامة المترجم مقام الأصل – أي مقام القرآن العربي المبين- في الصلاة و في غيرها

¹ مصطفى صبري : المصدر نفسه ص 13.

² مصطفى صبري: المصدر نفسه ، ص ص 13-14.

³ مفرح القوسي:المرجع السابق، ص 237.

من العبادات و المعاملات إمعانا منهم في البعد عن الإسلام و سيادة القرآن الكريم ، فقام بعض الكتاب في مصر بالدفاع عن تلك الفتنة وترويجها و إغراء الشعوب الإسلامية بالأخذ بها فحرروا المقالات الطوال لتأييد الكماليين في مسعاهم ، و أعدوا لهم المستندات و الأدلة من الكتب الفقهية ، و من أبرزهم: محمد فريد وجدي ، محمد مصطفى المراغي¹ .

فأراد مصطفى صبري أن يقابل تلك الأصوات بصوت يدافع فيه عن سيادة القرآن كما قال.²

فتناول مصطفى صبري مسألة الترجمة من وجهتها الشرعية، حيث درس المسألة دراسة فقهية، ودقق النظر في أقوال فقهاء الحنفية في المسألة، ونقد مساند القائلين بالترجمة قديما، وقرر أنه لا يستقيم لدعاة الترجمة حديثا مذهب الإمام أبي حنيفة سندا لهم لرجوعه عنه من جهة، و لكون مذهب الأحناف في المسألة ضعيفا في حد ذاته،... كما نبه على أن الترجمة المعنوية إنما هي جزء من القرآن ، واسم الكل لا يطلق على الجزء، ومن هنا فإنه لا يصلح أن يطلق اسم القرآن على ترجمته المعنوية، بالتالي فلا تنوب تلك الترجمة عن الأصل و لا تقوم مقامه³ .

ثم بين المفاسد و المضار الكثيرة المترتبة على فتح الباب لترجمة القرآن الكريم إلى غير لغته المنزل بها و الاستغناء بالترجمة عن الأصل، فناقش فريد وجدي وفند حججه التي استند إليها، ورد عليه بأدلة قوية عقلية ونقلية، و أورد أمثلة كثيرة من تلبيساته في مقالاته العديدة التي نشرها في جريدتي " الأهرام " و " المقطم "⁴ .

و الكتاب من أوله إلى آخر ردود و حجج لضحض مسألة الترجمة و جعل المترجم محل الأصل.

¹ المرجع نفسه، ص 232.

² مصطفى صبري: مسألة ترجمة القرآن، المطبعة السلفية، القاهرة، 1351هـ، د.ط، ص3.

³ مفرح القوسي: المرجع السابق، ص 223.

⁴ المرجع نفسه، ص 234.

خاتمة:

مما سبق ذكره يتبين لنا الدور الكبير و الإسهام الفعال الذي قام به مصطفى صبري في تجديد علم الكلام.

خاصة و أنه عاش في فترة حرجة من عمر العالم الإسلامي، و هي سقوط الخلافة و إعلان علمانية الدولة، و بسقوط الخلافة سقط معها ما تبقى من حضارة المسلمين، فتكالب الغرب على الإسلام بأفكاره و شبهاته و خزعبلاته الفكرية، فضرب مصطفى صبري خير مثال للدفاع عن الإسلام، و الرد على شبهات الخصوم المثارة، فكان بذلك أحد كبار المجددين الإسلاميين الذين عرفهم الإسلام.